



الشاعر القروي من خلال شعره

بقلم وديع فلسطين

ناهون من الشعراء الفطاحل في معظم العصور» (٢) ووصفه المجاهد اكرم زعيتر بقوله: «لو جاز ان يكون للوطنية قديسون لكان الشاعر القروي احدهم» (٣). وقال فيه زميله الشاعر المهجري جورج صيدح: «لم تعرف العروبة مثله شاعراً أميناً على عزتها وكرامتها، ثابتاً على مبادئها، زاهداً في مالها وحطامها... عرفت القروي وكأني عرفت روح غاندي في جسم غير جسمه وزبي غير زيه» (٤).

وشهد له محمد عبد الغني حسن بأنه «شاعر يمثل فحولة الشعر العربي في المهجر» (٥).

وقال فيه صديقه وصفيه ورصيفه نظير زيتون: «ولد مع الاعاصير في الغابات، ومع الزلازل في الجبال، ومع الصواعق في البحار. ولد مع الندى في الفجر، ومع الازهار في الربيع، ومع البلباب في الجنان، ومع الجمال في نشوة نيسان. ولد مع الاسطورة في عبقر، ومع الانبياء في الوادي المقدس، ومع الرؤى في ومضة الروح، ومع السحر في اهداب العذارى. ولد مع الدمع الاجرس اللاهب في غصة اليتيم، وزفرة المنكوب، وعثرة الكريم، وكربة المظلوم. ولد الشاعر القروي مع أمته في شروقها وغروبها، ومدىها وجزرها، وخمرها وخلها» (٦).

ونعته زميله الشاعر الصحفي المهجري عبد اللطيف الخشن بأنه «ثالث العمرين بعد عمر الخيام وعمر بن الفارض، فذلك في حكمته وهذا بزهده وصوفيته» (٧).

فقد عاش القروي أميناً على رسالته، يشيد بكل نبيل من الاهداف والغايات، وينطق بلسان عربي فصيح رصين لا برطانة أعجمية ولا بلسان عليه مسحة العجمة. تغنى أكثر ما تغنى بوطنه الصغير ووطنه العربي الكبير، وهام بأتمته هيما نابعا من فطرة سليمة ووفاء كريم، وردد أنغام الحرية في كل صقع، وكان دائماً الناصح الناضح الرشيد الذي يحض قومه الرأي القويم ويستنفر همتهم السى

الى احضان الشام عاد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري بعد هجرة امتدت اكثر من اربعين عاما قضى اغلبها في البرازيل، فالتقى أبر الابناء بأكرم الاوطان، وتحقق له الحلم الذي طالما مر بخياله في اليقظة وفي المنام، وكان حنينه الى الوطن قد شمل كل حياته ووجدانه وعاطفته وآماله، فقضى ايام شبابه وسني كهولته يبكي الغربة ويتحرق الى «بربرته» الراقدة في حضن الجبل الاشم شوقاً، ويذوب تحناناً الى اهله وعشيرته. فلما طالعه ساحل بلاده لأول مرة بعد هذا البين، انهمر الدمع في مآقيه وعيناه تصافحان اديم موطنه ومرايح طفولته، وأنشد قائلاً:

بنت العروبة هيئي كفتي انا عائد لاموت في وطني
من جاد من خلف البحار له بالروح، كيف يفسن بالبدن؟
وكان الى جواره صديق يعرف عن القروي زهادته
وفناءه في حب عروبه وبلاده، فعانبه قائلاً: افلا كان
الاحجى ان تقول:

بنت العروبة هيئي سكني انا عائد لاعميش في وطني؟
نعم، عاد القروي كما يعود الرسول الى متكئته بعد أداء رسالته بما يرضي ضميره ويطيب وجدانه. عاد لا يحمل من بدر المال يزهبه على انداده، ولا يرفد من ثراء المبادي يهيبء له حياة الترف، بل عاد وفي يمينه كتاب جليل باذخ قلباً وقالباً، هو ديوان شعره الموسوم «ديوان الشاعر القروي» الذي يقع في اكثر من الف صفحة والذي يجيش بعاطفة الشاعر القومية والانسانية ويعمر بآماله وآلامه واحلامه ورؤاه في مدى نصف قرن.

قال عنه الامير مصطفى الشهابي (١) انه من الشعراء الذين كانوا يسمعون صوتهم في المواقف الوطنية سواء في الدفاع عن الحرية المسلوبة في عهد الدستور او في الدفاع عن حقوق العرب. وقال كذلك ان روائع الشاعر القروي في مختلف الاحداث القومية مشهورة لانه لا يحتاج الى من يذكر في نار الحنين الى الوطن الاصلي ولا الى من يعلمه واجب الدفاع عن ابناء قومه. وقال ان للشاعر القروي قصائد ونفثات مشجعية في فجاجع الثورة السودبية وغيرها.

وقال عنه الدكتور احمد زكي ابو شادي: «علم قد شرف العربية في القرن العشرين باكثر مما شرفها انداد

(١) القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها - للامير مصطفى

- (٢) شعراء العرب المعاصرون - لاحمد زكي ابي شادي - تقديم ومراجعة رضوان ابراهيم - ص ٢٠٠
- (٣) مهمة في قارة - لاكمم زعيتر - ص ٢٠
- (٤) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية - لجورج صيدح - ط ٢ - ص ٢٢٨
- (٥) الشعر العربي في المهجر - لمحمد عبد الغني حسن - ط ٢ - ص ٢٤٧
- (٦) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية - ط ٢ - ص ٢٢٤
- (٧) شعراء العرب المعاصرون - ص ٢٠٢

إتاء الخير وإتيان الكرامة ، وعاش بشعره في حلبة
النضال يحارب كل ذميم من الإراء ، ويبطش بكل دعوة
هدامة ، ويصارع قومه بفضيته على استكانتهم ، ويوق
لهم بالنفير كلما آتس منهم دعة او رأى الخطر جائمما
عند الباب .

عيره بضعة شأنه ، فاختار لنفسه لقب « القروي »
امعانا منه في الزهو بوداعته . وكان اذا تحدث عن نفسه
ازهد الناس وأتاهم عن اعراض الدنيا . اما اذا تحدث
عن شاعريته او عن قومه ، فهو اكثر الناس غرورا وثقة
بالنفس ، ولكنه غرور الكبرياء لا مجون التكبر .

فهذا شاعر طاعن في عربيته ، عريق في شاعريته ،
مجدد في آفاق الشعر وآماده ودناه ، لا يعرف شطحات
الخيال ولا يعيش في اوهام الاحلام . واذا قال قائل
ان الشعراء انواع : فهناك الشاعر الرمزي والشاعر الخيالي
والشاعر الفيلسوف والشاعر الوجداني والشاعر المعلم
والشاعر الحماسي والشاعر الماجن ، وهلم جرا ، فان
الشاعر القروي ينتسب الى غير فئة واحدة من تلك الفئات ،
لانه منطلق في حماسته مبرز في تعليمه ونصحه ، محلق
في فلسفته وحسن تعليقه ، متيقظ الوجدان ، متسامي
الروح .

ولو سألتنا القروي ان يتحدث عن نفسه وعن شعره لقال :

انا السيف المجرى من قرابي أنهلني اذا بلي القراب ؟ (٨)
ولقال كذلك :

انا ذلك الاعصار نساف الدرى وانا النسيم مداعب الافسان
اطوي سماوات الخيال وانثني عطر الجنان يفوح من ارداني
ادنى الانام الى الرضى وأبرهم عهدا وابعدهم عن الكفران
فلئن فقدت فما فقدت مروتي عند الجدال ولا جهلت مكاني
ادب يروعك راضيا او ساخطا ولفى الهزار جميعهن اغاني
اذ عابك الشيطان انك خاطيء واذاغ زير القوم انك زان
لم يعن هذا الشعب اني شاعر حر بحب بلاده متفان (٩)
ولقال لنا :

ليت فيهم منصفاً يخبرهم انني شاعرهم رغم الجحود
قبل ان اجناز عقدا ثانيا زنت جيد الدهر بالعقد الفريد
اي فن من فنون الشعر لم أفرع الافذاذ منه بشرود
انا للحب وللحرب معا وقوافي لمن شاء شهودي
لست بالزهو لكن أدبي صنته عن كل مهذار بليد
لم اقل وحدي ، فمن أتاهم ان شعري وحده بيت القصيد (١٠)
لقال لنا مفاخرا مباهيا :

يا منكرأ أدبي هديت الا انا من صميم عشيرة الادب
من دولة الفن التي عصمت وتنزهت عن مدع وقبي
من اسرة النور التي تركت ليل الفرور ممزق الحجب
الفجر اختي والصباح اخي والشمس امي والنهار ابي (١١)
ولقال لنا مفاخرا مباهيا :

لاملا سمع الارض في كل ليلة باعذب من عزف الرباب واطريا
وانشد ما لم تنشد الطير مثله عدا «الطائر المحكي» شرقا ومغربا

(٨) ديوان الشاعر القروي - ص ٣٧

(٩) الديوان - ص ٤٢٠ - ٤٢١

(١٠) الديوان - ص ٣٧٨ - ٣٧٩

(١١) الديوان - ص ٤٢٨

ليس عظيما اني بعد شيبتي الاقي من الاحباب نكرا مشيبا
واني في الستين ما زلت مكرها لاجل كفاقي ان أكد وأنفيا
ولكنني بلغت قسومي رسالة سيودعها التاريخ سفرا مذهبا (١٢)
فالقروي شاعر يخلص في اداء الرسالة مرضاة لضميره
وخدمة لقومه ، لانه وأدع حيي يعاف الشهرة فتأتيه عفوا ،

ولانه فقير مجاهد صان وجهه وبرأ قلمه وسخر من متاع
الدنيا وازور عن المغانم والمكاسب . ومع هذا فلم يسلم
القروي من كيد الحاقدين والحاسدين ، فخطبهم باللغة
التي يحسنونها قائلًا في رد كيدهم :

لو كان يدري حسودي ما اكابده في الحق ما أكلته جمره الحسد
اني صعدت الى مجدي على جبل مما تهدم من روحي ومن جسدي (١٣)
طريق مفروش بأشلاء الجسد والروح ، يعنى فينه المرء
طريق مفروش بأشلاء الجسد والروح ، يعني فيه المرء
نفسه ليبلغ نهايته ، ويجالد فيه المجاهد حتى يظفر آخر
الامر بالنجح والفوز . ومتى جاءه اكليل التقدير ، كانت
القدمان داميتين وكانت الروح مشخنة بالجروح .

ولو سألتنا القروي عن الصفات الحسنى في البشر لقال :

انا من يعشق المهذب والشاعر والحر والفتى الاريحيا
ولو ان الاخلاق يعصم من كيد الاعادي عصم قلبي نيبا (١٤)
فان قيل له : من أنت وما شأنك ؟ لاجاب في ازدهاء
وعجب :

لي كالضياء صحائف منشورة بيضاء يشهد لي بها الملوان
الزهر تعرفني واعرفها فما همي اذا جهل الضفادع شاني
الحق سلطاني ولست بحاذر في الحق سلطانا سوى سلطاني
هل ينقمون علي الا انسي لبيت صوت الحق حين دعاني (١٥)
واذا كان الاخفاق في الحياة عند البعض سبيلا الى
الهيمنة والقاء السيف ، فانه عند القروي حافز على متابعة
الجهاد ومضاعفة الجهود . فلا ضيعة الشاعر بين قومه
والاجنبيين عنه ، ولا تعيره بأنه « تركي وضيع » مهما
أقبلت عليه الدنيا ، ولا اكتسابه السحت بالهوان ...
لا شيء من هذا كله يثني القروي عن طلب العلى لقومه
ولادبه ولعروبتة . وفي هذا قال :

انت والله شاعر عربي ضائع بين قومه والاجانب
حامل فوق همه هم شعب ساورته الخطوب من كل جانب
انت «توركو» ولو وطئت الثريا واقمت السهى بياك حاجب
مستقام مهما اعتززت ، فقير ولئن شدت ناطحات السحاب
تكسب السحت بالهوان وبالافك وبالشح ، بئس ما انت كاسب (١٦)
والشاعر القروي لا يفضل نفسه عن قومه ولا عن

مأته . وهو لا يرى في الحياة غاية مشتتة ما لم تكن
تلك الغاية مطلبا قوميا شاملا . وهو في حياته المنظومة
يرجع صدى الاحداث التي تلم بقومه ، لانه شاعر يعرف
ان عزته من عزة قومه وذله من ذلهم وسعادته مسن
سعادتهم . وفي هذا قال :

كنت اعطي أفلاذ قلبي لما كان غيري يعنى بجمع الغلز

(١٢) الديوان - ص ٤٢٥ - ٤٢٦

(١٣) الديوان - ص ٤٨٢

(١٤) الديوان - ص ٦٠٥

(١٥) الديوان - ص ٤١٨ - ٤١٩

(١٦) الديوان - ص ٤٠٨ - ٤٠٩

الشاعر القروي

— تنمة المنشور على الصفحة ١٣ —

نفسه وجلوة لما يعتدل في صدره من الاحاسيس والرغائب . والشاعر ينظر الى الحياة جميعا من زاويتها الانسانية المجردة ، لا تهمة زخارف المادة ، ولا يخدعه بريق النضار ، وذلك لا عن زهادة بل عن تفتن لحقيقة الاوضاع في الكون . وفي هذا يقول :

كن اله النضار انك عندي لست شيئا ما لم تكن انسانا
اشبع العقل حكمة واختبارا واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الارض والسماء وهل يدعى فقيرا من يملك الاكوانا؟ (٣٠)
ولكن انسانية الشاعر القروي تتبدى بأجلى صورها
عندما يتغنى بأمة المنجاب ويتحدث عن امومتها البيرة
الحانية الرفيعة . فهنا نرى القروي كالطفل الساذج
يذوب محبة وهياما ، لان امه اعز عليه من الدنيا جميعا ،
ولا يفضلها في نظره الا وطنه :

نسيان امي يا لبنان اهون من نسيان حيك عندي او تناسيه (٣١)
وللقروي في امه انعام لعلها من احلى انعامه جميعا ،
وقد اعترف هو بنفسه بان قصيدته الموسومة « حزن
الام » هي اعذب شعره بغير استثناء لانه نظمها في محضر
امه الرؤوم واستلهم معانيها ورؤاها من حنان الام وورقتها
وايثارها وسلامة فطرتها وصدق مشاعرها . وقد ذهب
في حد تقديسه لامه الى ابعد ما يذهب اليه العقل البشري
في تصويره ، فقال :

فؤاد الام يا لك من فؤاد يضم من العواطف ما يضم
غلطنا حين صلينا (ابانا) كما قالوا لنا ، فالله ام (٣٢)
أما قصيدته الباذخة في الام ، فهي درة لجبين الشاعر
قل نظيرها في شعر المعاصرين ، وربما في شعر السالفين .
فقد ملأت الام حياة الشاعر ، واسرته بعاطفتها الفياضة
الرائعة ، وامتلكت قلبه ووجدانه ، واراضته لبان الحب
قال :

ولو عصفت رياح الهم عصفا
ففي اذني عند النزع صوت
فيطربني ، وذلك صوت امي

ولو يا رب في اليوم العظيم
فلي امل بان ستعود يوما
وقلبي يستحي من قلب امي (٣٣)

بل ان الشاعر القروي ليبيع الدنيا جميعا في سبيل
امه ، ولا يخشى غدرات الايام ما دامت له ام تيسارك
شعره وتبث فيه حب الخير والبر :

واصبحت مهما سامني الدهر ذاكرا
وفي موضع آخر قال :

ولو كان يقني الحب او يدفع الردى
لا نام تحت التراب حي له ام (٣٥)

(٣٠) الديوان - ص ٨١٥

(٣١) الديوان - ص ٦٠٦

(٣٢) الديوان - ص ٧٦

(٣٣) القصيدة مدرجة بكاملها في مقالنا المعنون « صورة الام في
الشعر » - الاداب - مايو ١٩٥٨ - ص ٣١ - والديوان ص ١٧٧-١٧٨

(٣٤) الديوان - ص ٨٢٦

(٣٥) الديوان - ص ٦٦٨

وفي غير هذا الموضع قال :

علقت فوق سريري رسم والدتي
ورحت اغمض اجفاني وافتحها
وديوان القروي ببواكيره واعاصيره وزمازمه ومحافظه
ومجالسه وزوايا شبابه وموجاته القصيرة وازاهيره انما
يجلو لنا صورة عملاق في الشعر العربي الحديث ، نشأ
على شاطئ البحر المتوسط وترعرع على ساحل الاطلنطي
ولكنه عاش بوجدانه ومشاعره وجنانه وخياله ورؤاه في
خضم الاحداث الوطنية ، فكان صوته ينطلق من وراء
البحار مرشدا وناصحا وموجها ومحمسا ومقرعا ومداويا .
ففي ذكرى المتنبى ، وقف الشاعر القروي ينشد :

نبي ولو ضجت شيوخ ورهبان
وكل كلام يرفع النفس منزل
ولا فرق في الايات الا بانها
لذي العقل آداب وذو الجهل اديان

عيال على ذكراك ذكرى ملوكه
خلدت فخلدت الزمان وهكذا
واسماؤهم فيه على اسمك فيفان
تموت وتحيا بالنوابغ ازمان

بشاعرها فلتفتخر كل امة
اذا طويت اعلامها فهو بريق
يهددها بالموت والمار طفيان
وان اخمدت انفاسها فهو بركان
يهب رفات الفابرين صراخه
وتبعث ابطال وتنقى صوارم
وتنشر اعلام وتنصف اوطان

خلا العرش بعد ابن الحسين على المدى

وعطل من كسرى البلاغة ايوان

تمر البرايا موكبا اثر موكب
يفتش فيها عن خليفة احمد
وفي كل مناسبة قومية او ثقافية ، اسمعنا القروي
صوته ، جهيرا فصيحاً . وكان في كل شعره ابعد الناس
عن الرياء ، بقول الحق ولو ثار عليه الثائرون ، والهجاءون ،
ولم يسلم القروي منهم في مهجره ، فتحداهم ببيانه
وصنائعه ، ولم يجارهم في القدح والهجاء .

اما شعر القروي في باب الغزل فهو كثير ، أفرد له
باب « زوايا الشباب » . فقد ربط الحب قلبه بقلب «لمية»
فنظم فيها ارق الشعر مما يندرج وحده في ديوان كامل
فريد . واذا كان القروي قد عرف بالصدق في جميع
شعره ، فهو بهذه الصفة اظهر في غزلياته البارعة ووجدانياته
الفارعة ولا سيما في قصيدته العاطفية الانسانية العصماء
التي اسمها « وكم تهمة » ، وفيها يقول :

لمية بثت من ذورك عيون
اذا التقت العينان فيل تميم
قد اتهمونا بالهوى حين لا هوى
وكم تهمة بالحب للحب نظفة
وكنت اظن الحب فيك مجانية
فلما سموا بيني وبينك بالنوى
بكيت فما جفت دموعي من البكا
اطوف باكتاف الحمى علني ارى
اذا كذبنتي العين حرمتها الكرى
وجارت علينا السن وظنون
وان ضحك السنان قيل جنون
وكل قضاء لم يحن سيحين
اذا علقت بالقلب فهي جنين
واحسب ان البعد عنك يهون
وهاج بقلبي للقاء حنين
كان عيوني خلفهن عيون
خيالك من بعض الدروب بين
وغرقتها بالدمع وهو سخين (٣٨)
واذا استثنينا قصيدة او اثنتين ، فان القروي في
حبه عفيف يؤمن ، كما كان مطران يؤمن من قبل ، بالتوحيد

(٣٦) الديوان - ص ٨٤٦

(٣٧) الديوان - ص ٢٨٢ ٢٩

(٣٨) الديوان - ص ٦٧٩ - ٦٨٠

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر في بيروت تقدم

المجموعة القصصية

| | |
|--------------------------|-------------------|
| المصباح الازرق | تأليف : نبيل خوري |
| ليلنا خمر | » » » |
| قبلة التراب | » » » |
| ثقب في الباب | » غسان خليل صباغ |
| لولا القدر | » حسين السيد |
| دعني اعترف | » » » |
| عين لا تنام | » » » |
| بنت الجيران | » صباح محيي الدين |
| فتاة الرمال | » عوني مصطفى |
| ثريا الامبراطورة الحزينة | |

المجموعة الجنسية

الحب والشهوة
آدم وحواء

المجموعة السياسية

العرب والاستعمار - تأليف الجنرال كيلر
أنا عائد من اسرائيل

المجموعة التاريخية

تاريخ المملكة العربية السعودية - تأليف صلاح الدين
المختار (الجزء اول) - (الجزء الثاني)

المطولات

شرح نهج البلاغة للإمام علي - لابن ابي حديد
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني - مجموعة كاملة بتجليد انيق
مجمع البيان في تفسير القرآن
معجم متن اللفظة - الموسوعة اللغوية الحديثة
للعلامة الشيخ احمد رضا . تصدر تباعا موفية
بشروط السرعة والاتقان .

المجموعة الشعرية

ديوان شعر اليها - تأليف انور سلمان

محمد - ملحمة شعرية تأليف الدكتور علي شلق .

مكتبة دار الحياة - بيروت . شارع سوريا ص.ب. ١٣٩.

في الحب . اما الحب الانساني الشامل ، فان صدر
القروي ليتسع فيه للعالم بأسرها لانه هو القائل :
غرست الحب في قلبي صفيرا واطلقت السلام به غدبرا
ارجع اذ غدا روضا نظيرا فاجمله ببفضكم سعيرا
واقطف منه جمر الحزن قطفا ؟ (٢٩)
وهو القائل ايضا :

الا كل دين ما خلا الحب بدعة الا كل علم ما عداه توهم
هو الحب حتى ليس في الارض مجرم ولا مدفع يجري عليها ولا دم (٤٠)
والفكاهة في شعر القروي قليلة ، ولكنها تدل على
لمعة من الذكاء وومضة من مرح الروح . وديوان القروي
ديوان جاد الا في بضعة مواضع موزعة في أنحاء معرضه
الشعري . ولعل اجمل قصيدة فكاهية ساخرة في ديوانه
هي التي نظمها عن شاربيه غب حاقهما ، قال :

قالوا حلقت الشاربين وبأضباع الشاربين
فاجتهدم بل بش ذان ولا رات عيناى ذين
الشاطلين المزجين الطالعين النازلين
ويلى اذا ما ارفنا ذنبيهما كالعقربين
ان ينزلا لجمما فمي او يصعدا التطما بعيني
واذا هما بسط الخوان تراهما بسطا اليدين
فاذا اردت الاكل يقتسمان بينهما وبينى
واذا اردت الشرب يمتصان كالاسفنجين
فكانني بهما وقد وقفا بباب المنخرين
عبدان من اشقى العبيد تقاضيا ملكا بدين (٤١)
ومن شعره الفكاهة قوله :

جراة الحلمتين خلف الصدر علمتنا في الحب خلع العذار
خبئي هذه المفاتن عنا انما الصدر مخيا الاسرار
كيف لا تطمع الاكف بكنز دافع نفسه الى النظر (٤٢)
وكذلك قوله :

لم انس حين غشوت خدرلية والليل يغمرنا بجلبابين
عالجت زر الكهرياء بصدرها فانرت في العينين مصباحين (٤٣)
ان ما قدمناه من نماذج مقتبسة من شعر الشاعر
القروي رشيد سليم الخوري انما يطوع لنا ان نقول ان
هذا الشاعر الاصيل المكين الرصين قد حافظ على عمود
الشعر وصانه من كل عبث ، وذاذ عن الضاد وزادهما
بشعره غنى فوق غنى ، وكان في المهجر لسانا لقومه وصدى
لاحداث وطنه . وقد كان القروي في صحبه وهدونه
وثورته وهداته ، شاعرا مجيدا صريحا منطلقا ، وكان
شجاعا حتى حين يتكلم عن وطنه الثاني وعن خلاله
ورفاقه . وكان الى ذلك ما حنا يلعب بالعود فينسج الانغام
ويطرب الاسماع . وكان في كل ذلك رشيدا كاسمه ،
سليما كلقبه . وحق له ان يقول : « ان شعري وحده
بيت القصيد » . وحق له ايضا ان يقول : « اني شاعرهم
رغم الجحود » .

وديع فلسطين

القاهرة

(٢٩) الديوان - ص ٨٠٨

(٤٠) الديوان - ص ٨٢٩ - ٨٣٠

(٤١) الديوان - ص ٦٠

(٤٢) الديوان - ص ٧١٨

(٤٣) الديوان - ص ٧١٨